فلسفة التاريـخ :

هذا المفهوم الجديد للعلم وللحركة ، ادى بالمذهب الرومنسي الى موقف كان له تأثيره البالغ في القرن التاسع عشر ، ولعله ابعد المواقف تأثيرا • فاذا كانت الغاية من المعرفة تأليف الاشياء في كل اوسع ، واذا كانت الطبيعة حية ونامية ، واذا كان عنصر الزمن يلعب هذا الدور الحاسم ، الذي اعطاه له هيجل ، واذا كانت المشاعر التي تربط الناس بجماعاتهم الكبيرة ، فـــان التاريـخ البشري والتقاليد والتراث تصبح لها اهمية حيوية فحضارات الامم مثل المؤسســـات والافكار وحتى الافراد هي نتاج نمو طويل ، لا يجوز الحكم عليها الا من خـــلال معرفة كاملة بماضيها وتاريخها • وبذلك حلت التولدية والتاريخية كمنهـــج للنظر في الاشياء والافكار محل الطريقة التحليلية والميكانيكية ، وصار مقياس كل شيء ليس حظة من المعقولية او النفع بل اصله وتاريخه •

وبالتدريج فقد اصبح المعقول هو التقليدي الموروث ، بعد ان كان النافـع فيما مضى هو المعقول ، ووجدت الرجعية والمذاهب المحافظة في هذه المفاهيم الثورية والتقدمية في الاصل : مفاهيم التطور والنمو وفلسفات التاريخ ــ تبريرا لها ، تستند اليه في التمسك بالقديم او النكوص اليه •

الرومنسية تتحول الى الرجعيـة

عندما تصبح المشاعر الملتهبة لا العقل ، والماضي الغابر ، هو معيار الحقيقة، وهو المحك ، فمن السهل ان تنقلب الامور ، وينتقل السلاح من يد الثوريين الـى ايدي الثورة المضادة • منالسهل ان تصبح العادات والتقاليد الموروثة، والمشاعر الدينية المشدودة بحبال الماضي ، والى السلف الصالح والازمان الغابرة هـــي الموئل والملاذ ، وهي الامر الطبيعي والمقدس الذي لا يجوز الخروج عليـــه او انتهاك حرماته • ففي غيبة العقل ، والنقد العقلي ، تتجمد المشاعر والعواطف ، وتصبح كل محاولة للتغيير ، هي خروج على الطبيعة البشريـــة وانتهـــاك لمقدساتها ، وتصبح الثورة والتغيير عملا غير انساني ، لا يتسق مع الطبيعة •

وقد وقف ، الرومنسيون الاوائل كما رأينا ، مع الانسان وحريته وتقدمه ،ومع تغيير المؤسسات والمعتقدات من أجل تحرير العواطف الانسانية واطلاق الطاقات وانماء الفردية والتفرد • ولكن القوى التي كان العقل قد الزمها جحورها خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر ، والتي بدأ صوتها خافتا ضئيلا طوال عصر التنوير • اخذ صوتها يرتفع ، ويشتد ، بعد ان تفجرت الصراعات الدامية خلال الثورة الفرنسية ، وبعد هزيمة نابليون وقيام الحلف المقدس ، واستعادة الرجعية الاوروبية لمراكزها وسيطرتها في العديد من البلدان • بدأ تيار اللاعقلانية يقوى